سلسلة روائع ينابيع القصصية

الحذاء السحري

تأليف
محمد فتحى صبرى

رسوم
أحمد شوقي

إخراج فني
هاني رمضان

١٥ ش الطوبجي - خلف مرور الجيزة - بين السرايات - الدقي
تليفون وفاكس : ٧٤٩٣٦٨٥(٢٠٢) محمول : ٠١٠/٥٠١٤٥٧٣
E.mail: ynabeea45@hotmail.com
رقم الإيداع : ٢٠٠٤/٣٤٠٨

تذكروا جميعاً هذا الاسم، فهو سيتردد على ألسنتكم في كل أحاديثكم، لأنه سيكون علماً من الأعلام في كرة القدم، فمجرد ذكر اسمه سيوقع الرعب بين دفاع وحراس مرمى الخصوم، وسيكون أيضاً أعظم روائي في العالم ... فستهز رواياته مشاعركم جميعاً عندما تعرض على شاشات التليفزيون والسينما ... أوه .. لا تتخيلوا أن نجوميته ستتوقف عند عالم الكرة والرواية فقط، فرأسه تحوي خططاً لمشاريع ستجعل منه في عام واحد مليارديراً كبيراً يمتلك عشرات الشركات، ويعمل لديه آلاف العمال.

كان «عماد المنياوي» الطالب بمدرسة النهضة الإعدادية يردد هذا الكلام بينه وبين نفسه دائماً، فهو يعتقد في نفسه ذلك، ولكنه يتصور أن حظه العاثر هو الذي يقف دون تحقيق ذلك!

... فحظه العاثر يقف دون ظهوره كلاعب لا نظير له في كرة القدم، فساقاه الضعيفتان لا تساعدانه على تصويب الكرة بقوة، ويشعر أنه لو كان لديه الوقت الكافي لقام بتأليف أعظم رواية، ولو كان والده يملك أموالاً، لاستغلها في عمل المشاريع التي تجعله مليارديراً!!

وكان «عماد» يشعر بحقد وغيرة شديدين من كل فرد

ناجح، فهو يعتقد أن هؤلاء ناجحون فقط لأنهم محظوظون، فتكاد الغيرة تقتله لو أثنى والده أو والدته على أحد من الأولاد الذين في مثل عمره، فيحاول أن يقلل من شأن من يثني عليه والداه.

... والواقع أن قدرته على الانتقاص من شأن الآخرين هي الموهبة الحقيقية التي يمتلكها فعلاً، فإذا أثنى والده على ذكاء أحد من الأولاد، يعلق عماد: فعلاً. إنه يا والدي ذكي لأنه قصير القامة، وقصار القامة يعوضهم الله ببعض الذكاء. وإذا قامت والدته بمدح أحد، وقالت «إنه مجتهد». عقب بهدوئه المصطنع: فعلاً. إنه مجتهد جداً لأنه يشعر بنقص يحاول أن يعوضه!

فكلما انتقص من صورة أحد أمام الجميع يشعر بأنه انتقم من حظه العاثر الذي دفن مواهبه.

... إلا أنه شعر يوماً أن الحظ العاثر قد فارقه لأول مرة، فقد كانت أمام فريق مدرسته مباراة هامة مع مدرسة المواساة الإعدادية، وتصادف أن كان مهاجم فريق مدرسته مصاباً، أما المهاجم الاحتياطي فلم يستطع التدريب، حيث كان مضطراً لملازمة والده المريض بالمستشفى، فلم يجد المدرب أمامه أحداً ، فانتهز «عماد» الفرصة وطلب من المدرب أن يلعب مكانهما...

في خط هجوم فريق مدرسته، فاضطر المدرب للموافقة لضيق الوقت.

.. وفي يوم المباراة .. حضر جمهور كبير من مدرسته، فقد حرص جميع طلبة المدرسة على حضور المباراة لتشجيع فريقهم .. ثم بدأت المباراة، وجعل دفاع فريق مدرسته وخط وسطه -المشهورون بمهاراتهم العالية- يتناقلون الكرة باقتدار، ثم مرر لاعب خط الوسط كرة متقنة جعلت «عماد» ينفرد بمرمى الخصم، ولكن فوجئ الجميع بعماد يصوب الكرة بعيداً عن المرمى، فغضب الجمهور، وعلقوا بامتعاض شديد .. فقد أضاع هدفاً لا يضيع! .. ولم تمض دقيقة واحدة، حتى مرر خط الوسط كرة سهلة لعماد جعلته منفرداً تماماً بالمرمى، ولكنه أضاع هدفاً أكيداً ... واستمر الدفاع وخط الوسط في تمرير الكرات السهلة المتقنة لعماد .. ولكن كان عماد يهدرها خارج المرمى، فصاح زملاؤه اللاعبون في اهتياج:

- لا يمكن . لا يمكن أن تضيع مثل هذه الأهداف المؤكدة من لاعب أبداً.

.. وكانت النتيجة هزيمة فريق مدرسته الذي لم يهزم في مباراة، وخروجه من الكأس رغم تفوق لاعبي مدرسته الواضح بسبب لاعب واحد فقط ... «عماد المنياوي».

فاهتاجت مشاعر لاعبي مدرسته، وجرى بعضهم نحوه يحاول ضربه، ولكن استطاع «عماد» أن يروغ من بينهم في آخر لحظة.

... واستمر «عماد» في الجري لمدة طويلة، حتى تعبت قدماه، فنظر خلفه، فلم يجد أحداً يجري من بعيد، فاطمئن قليلاً، وجعل يمشي في الشوارع على غير هدى، فكلما فكر في العودة إلى منزله، يخيل إليه أن زملاءه في اللعب بل والمتفرجين أيضاً ينتظرونه أمام منزله ليضربوه انتقاماً لفشله في اللعب الذي أدى لهزيمة مدرستهم.

فاضطر أن يتحامل على نفسه ويواصل سيره في الشوارع حتى تخدلت قدماه تماماً، فوجد نفسه مضطراً إلى التوقف أمام كل فترينة عرض للمحال التي أمامه، ليتثنى لقدميه أن ترتاحا، إلا أنه ما أن حاول إلقاء نظرة على إحدى فاترينات العرض لمحل وحيد يقع على ناصية أحد الممرات، إذا بأمر غريب آثار ذهوله، فقد وجد حذاءاً عادياً من الكاوتشوك معروضاً بالفاترينة ومكتوباً أعلاه سعر لا يصدقه أحد .. «ألفا جنيه».

فتعجب «عماد» واقترب من فاترينة العرض، وراح يحدق طويلاً في الحذاء الكاوتشوك ...



كان كلما أمعن النظر في الحذاء تزداد دهشته، فالحذاء عادي جداً. فقال لنفسه: ربما .. ربما كان هناك خطأ في السعر، فالواضح أن الرجل أضاف صفراً زائداً. لا. بل ربما أضاف صفرين!!

فألقى نظرة إلى داخل المحل، فوجده مجرد محلٍ صغير لإصلاح الأحذية، وبداخله يجلس صانع أحذية على إحدى ماكينات خياطة الأحذية.

فسأل «عماد» الرجل في حيرة:

- هل السعر المكتوب هو ألفا جنيه فعلاً؟

ففوجئ بالرجل يبتسم ابتسامة عريضة، ثم قال:

- نعم. إن سعره ألفا جنيه!

فلم يصدق «عماد» أذنيه، وأخذ يحدق في الحذاء المعروض مرة أخرى، ثم سأل الرجل في دهشة:

- ولكن. ما السبب وراء ارتفاع سعر الحذاء هكذا؟ فسعره يزيد عن ثمن حذاء الكاوتشوك العادي مائة مرة، مع أن شكله عادي جدا، فهل هناك شيء في هذا الحذاء يجعل سعره مرتفعاً هكذا؟!

ولم يجب الرجل على الفور، بل راح يواصل إصلاح حذاء في يده، ثم التفت نحو عماد، وأخذ يتفحص وجهه لبرهه، ثم قال:

- إنني أعرف أن هذا الحذاء يعتبر أغلى حذاء كاوتشوك في بلدنا، بل ربما في الدنيا بأكملها، ولكن إن قيمته تساوي أكثر من ذلك، بل تساوى مئات الآلاف من الجنيهات.

فسأله «عماد» غير مصدق:

- ماذا. ماذا تقول؟!

فأجاب الرجل:

- إن هذا الحذاء يا بني يبدو من الخارج حذاء عادياً، أما في الحقيقة فيوجد بداخله سر دفين.

فسأله «عماد» في لهفة:

- سر؟ وما هذا السر الدفين؟!

أجال الرجل النظر حوله، فلما يجد أحداً يمر فيسمع السر، ترك ما في يده وقال:

- إن هذا الحذاء يجعل من يصوب به الكرة، تكون تصويبته كالمدفع تماماً.

فصاح «عماد» غير مصدق:

- إنني. إنني لا أصدق. يا لها من مفاجأة مذهلة، لقد عثرت على الشيء الذي سيجعلني نجماً!

أخذ «عماد» ينظر إلى الرجل في ذهول، ثم سأله غير مصدق: ولكن. كيف؟

فقام الرجل من أمام ماكينة الخياطة، وذهب إلى مرآة فاترينة العرض فرفعها، وأخرج منها الحذاء، ثم قال وهو يضعه أمام عيني عماد:

- انظر. إن «مقدمة» (بوز) هذا الحذاء عبارة عن قطعة قوية من الصلب، ومتصل بها شرائح من الحديد اللولبي، ويفصل بينها وبين قدم الفرد مادة غروية، لا تجعل قدم الفرد تشعر بأي ألم وهو يصوب الكرة، فإذا صوب الكرة كانت تصويبته قوية لا يستطيع حارس مرمى صدها مهما كانت قوته.

فتناول منه عماد الحذاء في لهفة، وراح يقلبه بين يديه وهو في حالة ذهول .. ثم زفر في ارتياح، فلقد وجد في هذا الحذاء الحل لمشكلته.

فلما لاحظ الرجل الفرحة الطاغية التي ارتسمت على وجه عماد، مد يده، وناوله فردة الحذاء، ليقوم بتجربة

مقاسها عليه، فقام عماد بارتداء الحذاء على الفور، فوجده مناسبًا تمامًا لمقاسه، فهلل من الفرحة: مقاسي. الحذاء مقاس قدمي بالضبط وكأنه مفصلاً ليّ. يا لي من محظوظ!!

... كانت الفرحة قد غمرت عمادًا تمامًا، فراح يتخيل .. وهو في الطريق .. نفسه وهو يصوب الكرة، فلا يستطيع حراس المرمى صدها، فيحرز أهدافًا عديدة، ويتخيل الجماهير وهي تهتف له في إعجاب شديد.

... ولكنه ما كاد يصل إلى منتصف الطريق حتى تذكر فجأة أن هناك مشكلة، فثمن الحذاء مرتفع تمامًا .. ألفا جنيه؟! .. فمن أين يحصل على هذا المبلغ .. فهو يعرف والده وظروفه؟!

فتساءل في حيرة .. هل يقترض هذا المبلغ من زملائه؟ .. إلا أنه وبعد أن مر كل منهم بخياله، وجد أن الموقف صعب، فلكي يقترض المبلغ منهم جميعًا، سيكون مضطرًا إلى الإفصاح لهم عن السر .. وهنا سيعرف الجميع أن الأهداف التي يحرزها بسبب الحذاء .. أو قد يسبقه أحدهم ويشتري الحذاء! وعاد إلى منزله، وقد نسى من فرط تفكيره في الحذاء وكيفية الحصول على قرض بشرائه أن يرد على والدته التي سألته في لهفة:

- لماذا تأخرت يا عماد يا بني؟

.. بل ولم يشعر بالجوع، بالرغم من أنه قد بذل مجهوداً كبيراً في المباراة، وفي السير الطويل الشاق بعدها .. كان كل ما يدور في ذهنه سؤالاً واحداً .. كيف نحصل على قيمة الحذاء بسرعة قبل أن تقع عليه عينا أحد، فيسبقه ويشتريه!

فتساءل فجأة وهو يعدل ملابس الخروج «لماذا لا يقترض والدي قيمة الحذاء من أحد، ولو حتى من البنك، كما اقترض مبلغاً كبيراً لتجهيز أختي الكبرى .. هدى؟!

بيد أنه ما أن فكر في كيفية إقناع والده بالأمر، حتى شعر بإحباط شديد، فمن الصعوبة بمكان إقناع والده بأنه لاعب كرة، فكيف يقنعه إذن بأن يقترض من البنك مبلغاً ليشتري به حذاء للعب الكرة؟!

فشعر بحنق شديد تجاه والده الذي لا يقدر مواهبه. وقام فجأة وهو يخاطب نفسه في زهو «نعم مواهبي». إن هذا الحذاء عندما ارتديه سيجعلني أعظم لاعب كرة، فسأحرز به في كل مباراة أهدافاً عديدة، فأنا موهوب، ولا ينقصني شيء سوى ضعف ساقاي، فإذا ارتديت هذا الحذاء ستبرز مواهبي، فأستطيع اللعب في أشهر الأندية .. وهنا. هنا سأحصل على دخل كبير من النادي!

وراح يتخيل نفسه وهو نجم كبير، يشاهده الملايين في التليفزيون، ويتهافت المذيعون على القيام بعمل أحاديث معه .. ويحاول أصحابه في المدرسة والشارع التقرب منه بأي ثمن، بينما ينظر إليهم في ازدراء.

فقام فجأة ليذهب إلى غرفة والده ليشرح له الأمر ويقنعه بأن يقترض ألفي جنيه من البنك، وسيردها إليه أضعافاً بعد بضعة أشهر فقط من تعاقده مع أحد الأندية.

ولكنه ما أن شرع في الذهاب إلى غرفة والده حتى تراجع فجأة، فكيف يصدق والده الأمر، وهو الذي لا يقتنع بمواهبه؟! .. فسينتهي الأمر بأن يغضب منه والده، وقد يكون نصيبه منه علقة ساخنة!!

.. واستمر «عماد» يفكر طوال اليوم وحتى ساعة متأخرة من الليل في وسيلة يحصل بها على الألفي جنيه .. ولكن كانت كل فكرة يصل إليها لا تروق له .. حتى يأس تماماً، وغلبه النعاس، إلا إنه ما أن تماثل للنوم في استسلام، إذا بحل يخطر له فجأة، فانتفض من نومه، وكاد يرقص لهذا الحل من فرط الفرح.

.. فخطيب أخته والذي يعمل بالسعودية قد أخبرهم منذ عدة أيام بأنه لن يأتي لاستكمال إجراءات زواجه



إلا بعد عام بأكمله .. فشبكة أخته والتي تتكون من قلادة ذهبية كبيرة ستظل محتفظة بها كما هي في مكانها لمدة عام بأكمله، فهي لا تستخدمها في شيء، ولا ترتديها في الخروج أبداً .. وهي تساوي أكثر من ألفي جنيه .. فلماذا لا يبيع هذه القلادة ويشتري بقيمتها الحذاء، فعندما تظهر موهبته في تصويب الكرة ويلتحق بأي نادٍ كبير، فسيحصل منه على دخل يتيح له سداد عشرة أمثال سعرها!

فتحمس عماد لهذه الفكرة، ولم يمر إلا يومان فقط، حتى استطاع الحصول على القلادة التي وضعتها أخته في درج خاص في مكتب والدها .. ثم باعها بسهولة لأحد الجواهرجية لقاء ألفين وأربعمائة جنيه .. سدد منها ألفين لبائع الأحذية، ووضع الأربعمائة جنيه المتبقية في جيبه.

.. وراح «عماد» يجرب الحذاء، كان كلما يصوب به الكرة، تنطلق من قدميه كالصاروخ .. ثم جرب التصويب من مسافات بعيدة، فلم يستطع حارس المرمى صدها إلا بصعوبة .. وفي الكثير من الأحيان تصيب أهدافاً.

.. فما كاد يلعب عدة مباريات بهذا الحذاء، حتى فوجئ الجميع به يسجل في كل مباراة عدة أهداف، بفضل تصويباته الصاروخية .. حتى أن حراس المرمى صاروا يخشون تصويباته حتى لا تصيب أجسادهم بأذى ..

فذاع صيت عماد بين الأولاد، وصار الجميع يردد «عماد ذو القدم الذهبية».

ولم تمر عدة أيام، حتى عرض «عماد» نفسه على أحد الأندية الكبرى، فما أن شاهده مسئولو الكرة بالنادي تصويباته للكرة، حتى أعجبوا بمقدرته على التصويب، وقالوا في تقريرهم: «إن مهاراته محدودة، ولكن تصويباته قوية، فيكفي أن يصنع له الجميع الأهداف، وبقدميه القويتين يستطيع إحراز العديد منها».. ووضعوه تحت الاختبار لمدة ثلاث أشهر، لا يتقاضى خلالها إلا مصاريف انتقالاته فقط .

فاستطاع «عماد» خلال فترة الاختبار هذه أن ينتزع لقب هداف الفريق.

ولكن، وفجأة، وقبل أن تنتهي مدة الاختبار بأيام فقط، شعر عماد بتعثر دخول الحذاء في قدميه، فتحايل على ارتداء الحذاء بكل الطرق، ولكن باءت كل المحاولات بالفشل، فلقد نما جسمه وطالت قامته فجأة، فصارت قدماه أكبر من مقاس الحذاء!

فأسرع إلى صانع الأحذية الذي ابتاع منه الحذاء ليقوم بتوسيعه، أو استبداله بآخر ولكنه فوجئ بالرجل يقول:

- إن هذا الحذاء لا يجدي معه التوسيع، ولا أستطيع أن أصنع حذاء مثله، فقد ابتكره عالم من أقاربي وهذا

هو الحذاء الوحيد، وقد مات منذ عام فقط!!

كان وقع الصدمة شديداً على «عماد»، فقد قضت تماماً على مستقبله كلاعب كرة قدم .. والأكثر من ذلك أنه لم يتقاض شيئاً من النادي ليشتري به قلادة أخرى بديلة لقلادة أخته، فكاد يصعق وهو يتخيل منظر والده عندما يصل إليه خبر سرقة «عماد» ابنه لقلادة أخته هدى!
فقال لنفسه في هلع:

- «إنه من المؤكد لن يضربني فقط .. بل . بل ربما يرسلني إلى النيابة!».

وراح يفكر وهو في رعب شديد، ويتساءل «ماذا يفعل في هذا الأمر .. إنه .. إنه على وشك أن يسجن أو يفتضح أمره، فقد يطرده والده من البيت!

وألفى نفسه رغماً عنه يسرع إلى المحل الذي اشترى منه الحذاء، وحاول جاهداً أن يقنع صاحب المحل بأن يرد له الحذاء بثمن أقل، ولكن الرجل رفض هذا العرض قائلاً وهو يقلب الحذاء بين يديه:

- إن الحذاء قد صار بالياً من فرط الاستخدام، فمن يشتري حذاءً بالياً ؟!

فلم يجد «عماد» أمامه مفراً من كشف سر الحذاء

للعديد من الأولاد، لكي يقبل أحد منهم على شرائه، ولكن وبالرغم من إعجابهم واندهاشهم جميعاً بخطورة الحذاء، إلا أنه لسوء الحظ لم يناسب الحذاء مقاس الأولاد الأربعة الذين يمتلكون ثمن شرائه ولو بنصف الثمن!

فعاد إلى منزله أخيراً وهو حزين .. ينتظر مصيره على يدي والده، ولسان أخته هدى اللاذع.

بيد أنه ما كاد يصل إلى منتصف الطريق، حتى خطر له فجأة خاطراً جعله يتساءل فجأة:

- «لماذا لا ألصق التهمة بأحد من الذين يترددون على منزلنا؟!».

فقفزت إلى ذهنه على الفور صورة سعاد صديقة أخته هدى، فهي أكثر الناس تردداً على شقتهم، ولكن الفكرة لم ترق له، فلو ألصق بها التهمة فلن يصدقه أحدا، فسعاد صديقة لأخته منذ طفولتهما .. فهل يمكن أن يشك فيها أحد بعد هذه الصداقة الطويلة؟!

.. ومرت عليه عدة أيام، خالها دهراً بأكمله، أمضاها في هم وخوف شديدين، فكلما فكر في إلصاق التهمة بأحد من الذين يترددون على منزلهم، يجد صعوبة .. فكل من زارهم خلالها من الأقارب بعيدون تماماً عن الشبهات!

ولكنه. وفجأة تذكر خاله الطبيب الذي يعمل في بلده بأقاصي الصعيد، حي تم تكليفه بالعمل بإحدى المستشفيات هناك، فقال لنفسه في حماس:

- «يا لها من فرصة وقد سنحت لي، فأمامي يومان فقط على اختبار نصف العام، فما أن فرغ منه أسافر على الفور إلى هناك، فأقضي إجازة نصف العام .. وهي مدة كافية ليكتشفوا خلالها اختفاء القلادة، فلن يتطرق شك أحد في أمري!

وما أن انتهى من الامتحان، حتى أسرع وجعل يلح على والديه في السفر إلى حيث يوجد خاله .. حتى اضطرا إلى قبول سفره وهما على مضض.

.. وتنفس «عماد» الصعداء أخيراً .. ولكنه متى قضى بمنزل خاله بالقرية يومين فقط، حتى نسى أمر القلادة، وقال لنفسه في زهو:

- «إن الأولاد هنا قرويون، فمن المؤكد أنهم لا يجيدون لعبة كرة القدم مثلما نجيد لعبها نحن أبناء المدينة، وأرض الملعب هنا صغيرة المساحة، فلن أضطر إلى التصويب من مسافات طويلة، فلا يظهر ضعف ساقاي في التصويب».

وأسرع لتوه إلى حيث يوجد الأولاد ليستغل الفرصة فيبهرهم جميعاً .. ومتى اقترب من الأولاد وهم يلعبون

في أرض الساحة الشعبية، حتى عرفهم بخاله، وطلب منهم أن يشاركهم اللعب، فتنازل أحدهم عن اللعب، ليلعب عماد مكانه.

.. وجعل الأولاد المتفرجون منهم -وحتى اللاعبون- يتابعون باهتمام عماد القادم من المدينة وهو يلعب، ولكنه لم يظهر أي مهارة، بل وضح تواضع مستواه بالمقارنة بمستوى من يلعبون معه.

فعلق أحدهم في سخرية:

- لقد كنا نعتقد أنك ستبهرنا بلعبك، كما بهرنا «سامح» ابن الدكتور «عليش» المشرف على المركز الصحي.

فعلق آخر في إعجاب:

- وهل هناك من هو مثل سامح! لقد جاء إلى القرية منذ أسبوع واحد فقط، ولكنه لم يثبت مهارة عالية في الكرة فقط، بل هو يسحرنا أيضاً بعزفه علي الأورج!

فأصيب «عماد» بخيبة أمل شديدة، وقال لنفسه في حنق: «أيسخر هؤلاء الفلاحون من لعبي، ويقارنون بيني وبين سامح. ومن هو سامح هذا؟!

فذهب في اليوم التالي لمشاهدة «سامح» الذي يعجب به الجميع، فظهر بالفعل أنه يلعب الكرة بمهارة فائقة،

ومما زاده ضيقاً وكمداً، إنه استمع إليه وهو يعزف على الأورج .. كان عزفه رائعاً، لدرجة أنه هو نفسه -رغم حقده عليه- راح يستمع إليه رغماً عنه.

.. وكان «عماد» قد نسى موضوع القلادة تماماً، ولم يعد يفكر إلا في شيء واحد .. كيف ينتزع إعجاب هؤلاء الأولاد، وقال لنفسه أنه انهزم في مجال الكرة، ولكنه يمتلك العديد من المواهب الأخرى».

وتساءل في فخر واعتزاز «فمن يمتلك مهارة كتابة رواية مثلي! فقد حان الوقت لقيامي بتأليف الرواية التي في خيالي، فسأذهلهم بها .. ويعرف أخيراً هؤلاء وغيرهم من هؤلاء هو «عماد المنياوي»!
فانعكف لتوه على كتابة الرواية التي كانت أفكارها مختمرة برأسه منذ مدة طويلة .. وما أن مرت خمسة أيام حتى انتهى من الفصل الأول، فلم يطق صبراً لاستكمال بقيتها، بل أسرع إلى الأولاد الذين كانوا يحيطون بسامح ليستمعوا إلى عزفه على الأورج، فقال لأحدهم وهو يناوله الأوراق:

- اقرأ هذه، لتعرف من الذي يقف أمامك!
فتناول الولد الأوراق منه، وترك الجميع ليقرأها في مكان قصي .. بينما وقف عماد يراقبه وهو يقرأ في اهتمام، منتظراً أن يشاهد حالة الذهول والإعجاب

التي ستبدو عليه بعد القراءة .. إلا أنه فوجئ بالولد، يغادر مقعده وجعل ينادي على بقية الأولاد، فتركوا أماكنهم، وراحوا يشاركونه القراءة ..

ولكنهم، ما أن ألقوا نظرة سريعة على إحدى الصفحات، حتى فوجئ «عماد» بهم جميعاً يأخذون في الضحك في سخرية!

فقفل عماد عائداً إلى داره مسرعاً، وهو يندب حظه العاثر الذي جعله أضحوكة بين هؤلاء الأولاد، وقال لنفسه في حنق وغيظ «إنه سامح. فلا يكفون عن إبداء إعجابهم بمهارته في كل شيء ولا يثقون إلا في قدراته، فلولاه لما سخروا مني أنا!».

وجعل لا يفكر إلا في شيء واحد .. الانتقام من سامح، ولم يهدأ حتى استطاع أن يجمع بعض المعلومات عن سامح، وكان أهمها أن والدة سامح توفيت منذ عامين، وأن الدكتور «عليش» والد سامح كان ينتقل بين قرية وأخرى، كل عدة أشهر للإشراف على مراكزها الطبية .. وفي كل مرة يصحب معه ابنه الوحيد .. «سامح».

فتوصل عماد في اليوم التالي إلى خطة شيطانية، وقال لنفسه في تباهي «إنها لن تقلل من شأن سامح فقط، بل ستجعل الجميع يكرهونه ويحتقرونه».

.. كانت الخطة أن يرسل عدة خطابات للبعض من

رجال القرية من القرى التي زارها سامح مرافقاً لوالده، تحوي تحذيرات من مرسليها من سامح الذي ما أن يغادر قرية من القرى، حتى يكتشف أهلها أنه قد نصب عليهم ... وأسرع بالرسائل التي كتب كل منها بخط مختلف وبأسلوب مختلف وبتوقيعات وهمية .. وللمزيد من الدقة، سافر في صباح اليوم التالي إلى هذه القرى ليرسل الرسائل من مكاتب بريدها .. حتى لا يساور الشك أحدهم، بعدما يتأكد من أختام البريد!

وبعد عودته، وللمزيد من الحرص، جعل عماد يُظهر أمام الجميع مشاركته في الإعجاب بسامح وخاصة لعب الكرة .. حتى لا يشك أحد في أمره، ودعا في اليوم التالي سامحاً لتناول الغذاء معه، وراح يظهر له الود والإعجاب .. حتى استراح إليه سامح.

.. ولم يمر على ذلك ثلاثة أيام فقط، وإذا بسامح يتصل به. كان صوته متهدجاً ملئ بالحزن، وهو يرجوه أن يأتي إليه بمنزله، فلما أسرع إليه ليعرف ماذا حدث؟ وجد سامح في حالة حزن شديدة، فلما سأله عن السبب، فوجئ بسامح يجيب بصوت حزين:

- تصور. تصور يا عماد. إنني وجدت أولاد القرية كلهم، يديروا لي ظهورهم كلما قابلوني وينصرفون من أمامي!

وتوقف، وسأل عماد وهو لا يصدق:

- إنني لا أعرف ماذا حدث؟!
فما أن سمع عماد ذلك، حتى كاد يطير فرحاً، فلقد نجحت خطته أخيراً، فلم يتلاش إعجاب الأولاد بسامح فقط، بل تحول في نظرهم إلى مجرم.
فحاول جاهداً أن يداري فرحته الطاغية .. وللمزيد من الاحتياط، اضطر إلى قضاء اليوم بأكمله في منزل سامح .. حتى انتصف الليل، فقفل عائداً إلى منزله، وهو لا يصدق نفسه من فرط السعادة التي اعترته، وراح يهنئ نفسه طوال طريق عودته على ذكائه وموهبته في الخطة التي وضعها ونفذها بذكاء .. وراح يفكر أثناء سيره. ماذا سيفعل في هذه القرية؟ فلقد حانت الفرصة ليعرفوا جميعاً من هو ... «عماد المنياوي».

إلا أنه وفي غمرة النشوة، فوجئ بأنه قد ضل الطريق إلى منزله، وأنه قد اتخذ طريقاً آخر دون أن يدري! فتوقف، وجعل يجيل النظر حوله، فألفى نفسه في مكان لم تطأه قدماه من قبل، فانتابه خوف شديد .. فالظلام يخيم على الحقول المترامية وكأنها لا نهاية لها، وجعل كلما سار في طريق يجده مقفلاً تماماً .. ودار بخلده فجأة أن المنطقة مليئة بالذئاب، فازداد رعباً، حتى كاد الرعب أن يشل ساقاه عن الحركة .. ولكنه ما أن جاهد نفسه، وسار لبضع خطوات، حتى وقعت عيناه

على شبح منزل على بُعد مُقام بمفرده وسط مساحة كبيرة من الحقول فحاول الاقتراب من المنزل .. فألقى نفسه أمام جسر صغير يفضي إلى المنزل .. فعبر الجسر بصعوبة في الظلام، ثم راح يتحسس طريقه .. حتى وصل أخيراً إلى المنزل.

وفكر أن يطرق الباب ويستغيث بساكنيه ليعاونوه في العودة إلى منزله .. إلا أنه ما كاد يقترب من الباب، وإذا به يفاجأ بالباب يُفتح فجأة، ويظهر أمامه شبح لامرأة في الضوء الخافت.

وصرخت المرأة بصوت مرتفع:

- امسكوه ... اللص!

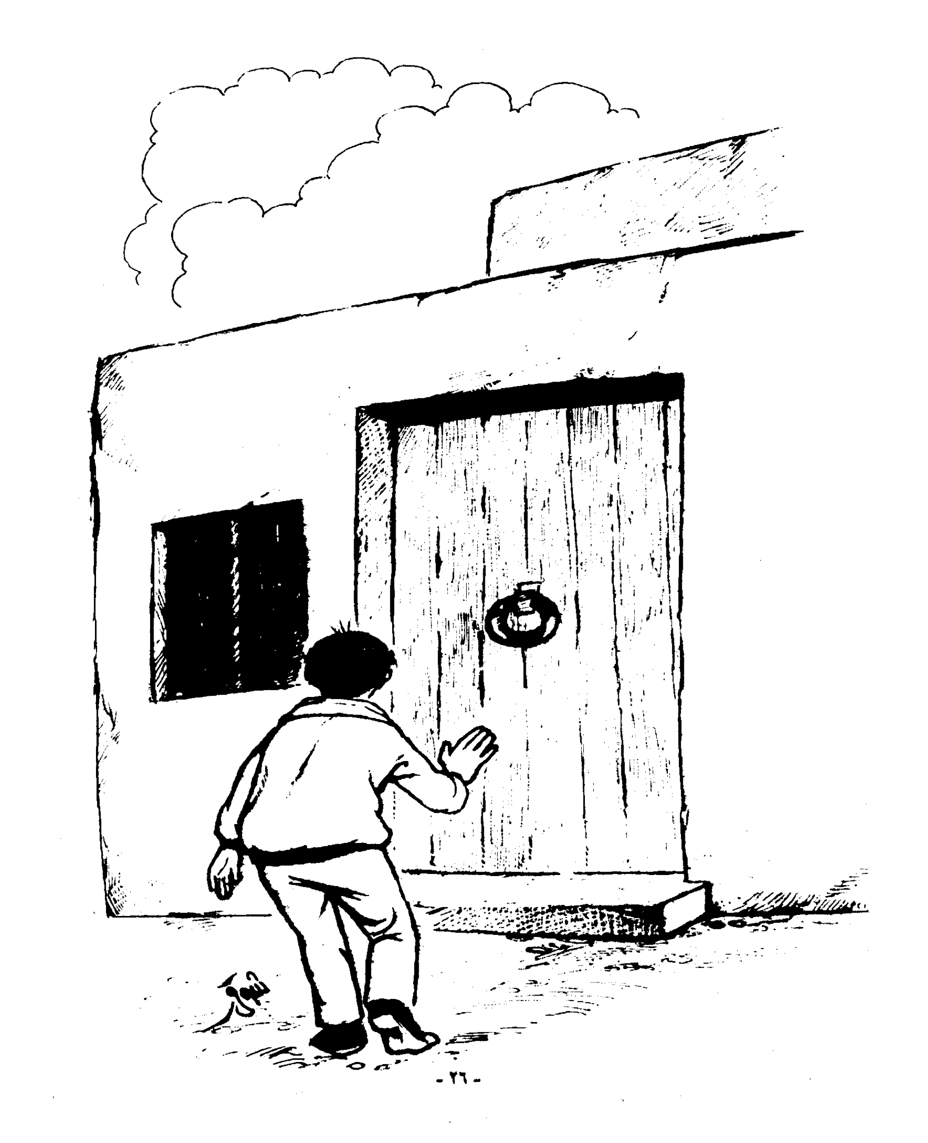
فتجمد عماد في مكانه من فرط المفاجأة!

وأعقب الصوت عدة صرخات عالية، أحدثت في أعقابها جلبة، فتناهى إلى أذنيه أصوات أقدام تجري من الخلف في اتجاهه.

وانطلق صوت أحد الرجال:

- هذا هو السارق. أمسكوه!

فالتفت عماد نحوهم في ذعر، فأبصر أشباحهم وهي تقترب منه وهم يشيرون نحوه، فتساءل في ذهول غير مصدق:



- هل علموا بسرقة القلادة؟!

وأسرع -رغماً عنه- بالفرار من أمامهم، ولكنه ما كاد يجري لبضع خطوات، فإذا بقدميه تتعثران فجأة في ماسورة مياة بارزة من الأرض، فهوى على الأرض مغشياً عليه.

.. أفاق عماد في اليوم التالي، فألفى نفسه في غرفة مكتوب على لافتة على أحد مكاتبها «معاون مباحث المركز». وقد أزدحم بمجموعة من أهالي البلدة.

قال أحدهم:

- ها هو الولد المجرم قد ثاب إلى رشده يا حضرة الضابط. فاقترب منه معاون المباحث، وألقى عليه نظرة طويلة في ضيق، ثم سأله في نفاذ صبر:

- هل ستعترف يا بني بالسرقة، وتعيد الفرن الكهربائي المسروق من هذه المرأة، أم نحولك للنيابة؟

فانتفض عماد من فوق الأريكة والتي وجد نفسه ممداً عليها، وتساءل في دهشة شديدة، وهو يتأذى من آلام رأسه من أثر وقوعه:

- فرن. فرن كهربائي!. أنا! أنا لم أسرق شيئاً.

فانفجرت امرأة بالقرب منه صائحة بصوت غاضب:

- يا لك من مجرم. أتتنكر. وأنا ضبطتك تحوم حول داري في وسط الليل وتهم بفتح الباب!
وتوقفت، ثم التفتت إلى معاون المباحث، واستطردت بصوت عال:

- إن داري تبعد عن البلدة كلها بمسافة كبيرة، ولا يزورني أحد. فما بالنا بمن يزوره وسط الليل.

قالت ذلك، وراحت تجيل النظر بين الجميع، ثم أردفت:

- لقد كنت متأكدة أن السارق سيعود ليأخذ بقية أجزاء الفرن الذي سرقه.

ثم انفجرت في نشيج طويل، فراح معاون المباحث يهدئ من ثائرتها، ثم سألها:
- ومتى تمت السرقة؟
فأجابت المرأة بلهجة ممزوجة بالبكاء:

- أمس ما بين الظهر والعصر بالضبط. فأنا أعيش بمفردي في المنزل، وقد خرجت بعد صلاة الظهر لشراء أرز من متجر الحاج صالح.

.. وراحت تكفكف دموعها بكم جلبابها، ثم أردفت:

- وعندما عدت بعد حوالي نصف ساعة فقط، وجدت الغرفة مبعثرة، فلما نظرت إلى مكان الفرن لم أجده، فصرخت، ولكني وجدت اللص نسى الموتور نفسه.

.. وتوقفت، والتفت إلى عماد، وقالت وهي تشير نحوه:
- ولما أقبل هذا الولد، وهو يتسحب في منتصف الليل، أدركت على الفور أنه هو السارق، قد جاء ليسرق بقية الفرن.

وبالرغم من غضب عماد من التهمة المنسوبة إليه، إلا أنه قد شعر بارتياح فجأة، فالدليل موجود لديه ... «سامح»، فقد كان في منزل «سامح» منذ صباح الأمس وحتى منتصف الليل.

فالتفت إلى الضابط وصاح:

- يا حضرة الضابط. إنني برئ تماماً من التهمة، فلقد كنت موجوداً منذ صباح الأمس وحتى منتصف الليل بمنزل صديقي «سامح» ابن الدكتور «عليش» المشرف على المركز الصحي.

أطرق معاون المباحث يفكر لبرهة، ثم بَدي له شيء فجأة، فالتفت ونادى أحد رجاله، وقال له:

- أرسل يا رقيب حسنين بأحد رجالك ليأتني بسامح ابن الدكتور عليش، ولا تبلغوه بما حدث. حتى أتأكد



من صدق شهادة هذا الولد.

.. ولم تمر إلا ساعة واحدة، حتى كان سامح يقف أمام الضابط، وقد بدت على أسارير وجهه دهشة شديدة، فلم يصدق ما حدث لعماد، فلما سأله المعاون عن آخر مرة شاهد فيها «عماد»، فأجاب سامح على الفور:

- بالأمس. كان معي في منزلي في الصباح وحتى منتصف الليل فتأكد بذلك المعاون من براءة «عماد»، إلا أنه ما كاد «عماد» يشرع بمغادرة المكان، إذا بمجموعة من الفلاحين تقبل فجأة، وقال أحدهم:

- لا. لا. يا حضرة الضابط. لا تأخذ بشهادة سامح!

فنظر إليهم المعاون في دهشة، وسألهم وهو غير مصدق:
- ولماذا؟!
فأجاب أحدهم:

- لأنه مجرم مثل صديقه، والمجرم لا يأخذ أحد بشهادته!

وتقدم كل منهم واقترب من الضابط، وقدموا له الخطابات التي تسلموها من البريد.

فما أن قرأ معاون المباحث الرسائل، حتى صاح في رجاله بصوت آمر غاضب:

- زجوا بعماد هذا المجرم في الحجز، ليُرحل إلى النيابة، فمن المؤكد أنه هو السارق، فلقد خدعنا، وطلب شهادة مجرم مثله، فلابد أنه شريكه، فها هي الخطابات التي تثبت أن سامحًا مجرم سنقدمها للنيابة لتبطل شهادته!



تمت